



لحظة للحداد... والتفكير

وجاءت اللحظة التي تنقبض فيها الانفاس. لحظة للحداد واللهفة على اخوة بدأوا يموتون، على شعب شهيد عانى من الخارج والداخل على السواء عنفاً صرنا نخاله ملازماً لسواد ارضه، ولم يعرف كيف يجتاز فصول حربين متعاقبتين وحصار مديد وقمع لا ينتهي، الا ليجد نفسه كبش محرقة لارادة امبراطورية تعبر المحيط. ولحظة للترقب والوقوف على مفترق طرق لا يوحى أيّ منها أنّه يفضي الى المستقبل، على جري ما ذاقته اربعة اجيال من العرب. فاذا تتدافع على شاشات التلفزيونات الصور المنذرة بقلب صفحة من التاريخ، تختلط بما حفظته الذاكرة الجماعية عن صفحات اخرى طواها القرن الماضي الواحدة تلو الاخرى، وطوى معها الآمال والتطلعات، من انهيار الدولة العثمانية الى حرب فلسطين الاولى، فحرب حزيران ويوم العبور وحصار بيروت وتحرير الكويت. انها لحظة لا يُعرف مما سوف تؤول اليه سوى أمر واحد، هو ان الكثير سيتغيّر وأوله النظام القائم في العراق، من دون ان يستطيع احد الجزم اين قد يرسو مسلسل الاحداث الذي سيطلقه سقوط هذا النظام. انها لحظة تتغيّر فيها معاني الكلمات نفسها من دون ان يعرف احد اين ستستوي.

فأي معنى غداً للقانون الدولي، للامم المتحدة؟ وقبل اي شيء، اي معنى لكل ما عهدناه من مفردات السياسة العربية، من الجامعة التي لم تنجح سوى في جمع الفراغ والعجز، الى "الشارع" الذي لا يتحرك الا متأخراً، مروراً بمفاهيم تصورهاها راسخة مثل "التحرير" و"الجماهير" وحتى "الشعب". فما الذي يبقى من هذه المفاهيم اذا حصل أن رُشّ الجنود الاميركيون بالارز، عندما يدخلون البصرة، مثلما حدث مع الجنود الاسرائيليين في الجنوب اللبناني عام ١٩٨٢؟ وأيّ تضامن مع الشعب العراقي" سيصمد اذا ما تعاقبت المشاهد "التحريرية" على الطريقة الاميركية في شمال العراق وجنوبه؟ انها لحظة يختار فيها الذهن بين رغبة التمرد على فعل القوة الامبراطوري، وحاجة القفز الى ما بعد فصل استعراض القوة من اجل استشراف امكانات الحساب البارد للخسارة... الخسارة، اذ لا مكان للربح في هذه اللعبة التي تفرض الولايات المتحدة قواعدها ولا تلبث ان تخرج عنها.

طبعاً، ليس ما يُندم عليه في نظام صدام حسين اذا هوى، كما هو مرجح، بل ليس ما يُندم عليه في الانظمة العربية الاخرى اذا لحقت به.

الا ان التوق العربي الى التخلص من هياكل الجمود والتخلف والقمع لا يستطيع ان يخفف الخوف العميق من ان تفضي المحاولة الاميركية لتعديل النظام الاقليمي وتبديل الثقافة السياسية فيه، الى احلال فوضى منظمة مكانه. ومصدر الريبة حيال مشروع "التغيير" الاميركي ليس فقط السوابق التاريخية الغربية، وآخرها حرب تحرير الكويت التي قيل انها ستفتح الباب امام الديمقراطية في الخليج، فضلاً عن تسوية الصراع العربي - الاسرائيلي. فالريية تعززت بفعل السبل اللاديموقراطية التي ولجتها الولايات المتحدة لتوريد الديمقراطية الى العراق، سواء من خلال الثقافة على الامم المتحدة او بممارستها اساليب التهديد والابتزاز ضد الدول المعارضة للحرب، وفي مقدمها فرنسا، ناهيك بالاملاء "الديموقراطي" الذي سعت واشنطن الى فرضه على الفلسطينيين.



غير ان الربية المشروعة من النيات الاميركية لا يمكن ان تكون حجة للاحكام عن التفكير في كيفية تأطير الامر الواقع الجاري فرضه في العراق، ربما من خلال فتح قنوات جديدة مع المعارضة العراقية، على تشرذمها، والانصات اليها، سواء على مستوى الجامعة العربية او في الشارع نفسه. فاذا كان الاحتجاج على الحرب الاميركية مشروعاً، وإذا كان التضامن مع الشعب العراقي مطلوباً، شرط ان يكون صادقاً وفعالاً، فان تحول الاحتجاج والتضامن نصرةً لنظام ديكتاتوري باتت ايامه معدودة، يشكل اقرب طريق الى تأييد المأزق العربي. بل هو الضمان بأن يمتد الحداد الذي تفرضه اللحظة الى فكرة المستقبل العربي.

سمير قصير



Id-Reference	03-Pr-000680	
Media	(Support)	HC
Title		لحظة للحداد... والتفكير
Subtitle		
Section		
Language		عربي
Source		النهار
Page		
Date		٢٠٠٣/٣/٢١ 21/3/2003
Author		سمير قصير
Co-Author		
Keywords		
	Persons	صدام.حسين
	Locations	عراق - اميركا - اسرائيل - لبنان - فلسطين - فرنسا - بصرة
	Dates	١٩٨٢
	Themes	عرب - عراق - اميركا - صراع.عربي.اسرائيلي - أنظمة.عربية - نظام.اقليمي - حرب.حزيران - يوم.عبور - حصار.بيروت - تحرير.كويت - فلسطين.دولة.عثمانية - ديموقراطية - جامعة.عربية - نظام.صدام.حسين - نظام.عراق - أمم.متحدة - قانون.دولي - إجتياح.اسرائيل.١٩٨٢ - نظام.ديكتاتوري
Subject		